البنية الحجاجية في الخطاب الفقهي دراسة تداولية

فاطمة حسين بداي

(العراق)

The structure of Hajj in fiqh discourse is a deliberative study

Fatima Hussain badi

(Iraq) fatmtbday257@gmail.com

تاريخ الاستلام: 10/ 08 /2025 تاريخ القبول: 20 / 09/ 2025 تاريخ النشر: 01/ 12/ 2025

الملخص:

تعتبر البنية الحجاجية في الخطاب الفقهي واحدة من أهم الموضوعات التي تبرز في تلاقي اللسانيات المعاصرة والدراسات الإسلامية. إن الخطاب الفقهي، بما يتضمنه من استدلالات وأحكام واستجابات عملية، ليس مجرد توصيل للأدلة أو عرض للفتاوى، بل هو نوع من الحوار الحجاجي المقنع، يعتمد على مقدمات وأهداف وطرق لغوية معقدة. هنا تظهر أهمية استخدام مقاربة حديثة تتناول هذا الخطاب كوسيلة للتواصل اللغوي تهدف إلى التأثير والإقناع، وليس مجرد تجمع للمعلومات أو استعراض الآراء.

,يتكون هيكل البحث من خمسة فصول مترابطة:

الفصل الأول: الإطار المفاهيمي والنظري :يتناول التعريف بالحجاج وكيف تطور من البلاغة إلى التداولية، مع توضيح المفاهيم .الأساسية في اللسانيات التداولية (السياق، أفعال الكلام، المقصدية)، ثم يُعرف الخطاب الفقهي وخصائصه

الفصل الثاني: البنية الحجاجية في الخطاب الفقهي :يحلّل العناصر الأساسية للحجاج (الأطراف، المقدمات، الأساليب) والوسائل التي يستخدمها الفقيه مثل النصوص والنقل والقياس، ثم يستعرض النسق الحجاجي من حيث تنظيم الحجة وبناء الترجيحات.الفصل الثالث: الاستراتيجيات التداولية في الخطاب الفقهي: يدرس أفعال الكلام ضمن النصوص الفقهية، ويحلل دور المسلمات التداولية والمقصدية، مع التركيز على تنوع المتلقين (عامة الناس، طلاب العلم، المجتهدون) وتأثيره على صياغة الخطاب.

الفصل الرابع: دراسات تطبيقية:يتضمن تحليل حجج الإمام النووي وابن قدامة، ومقارنة بين الخطاب التعليمي والإفتائي .لتوضيح الأدوات التداولية وطرق بناء الحجة في كلٍ منهما

الفصل الخامس: النتائج والتوصيات :يخلص إلى أن الخطاب الفقهي يعتمد هيكلاً حجاجيًا تداوليًا واضحًا، وأن أدوات اللسانيات التداولية تساهم في فهم أكثر دقة له. يوصي البحث بدمج هذه المقاربات في التعليم الجامعي ودراسات اللغة .الشرعية

كلمات مفتاحية: الخطاب، الحجاج، التداولية، الإقناع، السياق.

Abstract:

The Hajj structure in the Fiqh discourse is one of the most important topics that stand out in the convergence of contemporary linguistics and Islamic studies. The Fiqh discourse, with its inferences, judgments and practical responses, is not just a delivery of evidence or a presentation of fatwas, but a kind of convincing argumentative

dialogue, based on complex linguistic premises, goals and methods. Here the importance of using a modern approach that addresses this discourse as a means of linguistic communication aimed at influencing and persuading, and not just a gathering of information or a parade of opinions, is shown.

The research structure consists of five interrelated chapters:

The first chapter: conceptual and theoretical framework: deals with the definition of pilgrims and how it developed from rhetoric to deliberative, clarifying the basic concepts in deliberative linguistics (context, speech acts, intentionality), then defines the Fiqh discourse and its characteristics.

Chapter Two: the Hajj structure in the Fiqh discourse: analyzes the basic elements of the pilgrims (parties, introductions, methods) and the means used by the jurist such as texts, transmission and measurement, and then reviews the Hajj format in terms of organizing the argument and building weights.

Chapter Three: deliberative strategies in fiqh discourse: examines the actions of speech within the texts of jurisprudence, analyzes the role of deliberative and deliberate assumptions, focusing on the diversity of recipients (common people, science students, hardworking) and its impact on the formulation of discourse.

Chapter IV: Applied Studies: includes an analysis of the arguments of Imam al-Nawawi and Ibn Qudamah, and a comparison between educational and slanderous discourse to clarify the deliberative tools and methods to build the argument in each of them.

Chapter five: conclusions and recommendations: concludes that the Fiqh discourse adopts a clear deliberative dialectical structure, and that the tools of deliberative linguistics contribute to a more accurate understanding of it.The research recommends integrating these approaches into university education and legitimate language studies.

Keywords: Discourse, argumentation, deliberation, persuasion, context.

المقدمة :

مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث في عدم وجود قراءات لسانية تداولية للخطاب الفقهي، رغم وجود جانبه الحواري والمقنع. معظم الأبحاث اللغوية تنظر إلى النصوص الفقهية كأنها هياكل نحوية أو دلالية، مع تجاهل الجوانب التفاعلية والمقصدية التي يحتويها هذا النوع من الخطاب. بالمقابل، تتعامل الأبحاث الفقهية مع الخطاب كجزء من تاريخ الفتوى أو الفقه المقارن، دون الاستفادة من أدوات التحليل اللغوي الحديث. لذا، يهدف هذا البحث إلى سد هذه الثغرة من خلال دراسة البنية الحجاجية في الخطاب الفقهي اعتمادًا على مفاهيم التداولية الحديثة، مثل أفعال الكلام، والمقصدية، والسياق، والمسلمات التداولية تتبلور أهداف الدراسة في النقاط التالية

استكشاف العناصر الحجاجية الموجودة في الخطاب الفقهي.

1- ادوات التحليل التداولي لفهم كيفية بناء الحجة الفقهية.

2-تسليط الضوء على الطابع التفاعلي للخطاب الفقهي ومكانته عند المستمع.

3-تقديم قراءة تطبيقية لنماذج فقهية تقليدية من منظور حجاجي تداولي.

منهجية البحث : تستند منهجية الدراسة إلى أسلوب وصفي تحليلي، مع استنادها إلى أدوات التداولية، حيث سيتم تحليل نصوص مختارة من مكتبات النووي وابن قدامة، ودراسة بنية الخطاب الإفتائي والتعليمي من خلال المقارنة بينهما.

يعتبر الخطاب الفقهي من أبرز أنواع الخطاب الديني في الإسلام، حيث يلعب دوراً مهماً في تشكيل الوعي الشرعي وتوجيه الأنماط السلوكية في المجتمع. وفي جوهره، يركز هذا الخطاب على توضيح الأحكام الشرعية واستنباطها من مصادرها. والوسائل التي يستخدمها الفقيه لصياغة هذه الأحكام وتفسيرها تندرج تحت مجال الحجاج بشكل واضح، حيث يتفاعل فيه أساليب البرهان والتفسير. لفهم هيكل الخطاب الفقهي أو تحليل آلياته التفاعلية، من المهم النظر إلى المفاهيم الرئيسية للحجاج، وتطورها، وتأثير اللسانيات الحديثة في تشكيل ملامحه.

شهدت مفاهيم الحجاج تغيرات كبيرة، حيث ارتبطت في البداية بالبلاغة القديمة والمنطق الأرسطي، ثم انتقلت إلى رؤى لغوية حديثة أعادت للحجاج طابعه التواصلي، معتبرًا إياه فعلاً يهدف إلى التأثير والإقناع ضمن إطار ثقافي واجتماعي معين. لهذا السبب، يصبح تحليل الخطاب الفقهي باستخدام أدوات الحجاج والتداولية ضرورة لفهم كيفية تشكيل الأحكام، وتبرير الفتاوى، وحل النزاعات، مما يكشف عن عمق التفاعل في البنية الداخلية لهذا الخطاب.

لذا، يسعى هذا البحث إلى دراسة البنية الحجاجية في الخطاب الفقهي من خلال تحليل مكوناته المضمونية واللغوية، واستكشاف استراتيجيات التأثير والإقناع التي يستخدمها الفقيه عند مخاطبته للجمهور، سواء كان شخصًا عاديًا أو طالب علم أو مجتهد. ويتطلع البحث إلى توضيح العلاقة بين الحجاج والتداولية في عملية إنتاج هذا الخطاب، وملاحظة تأثير السياق، والمقاصد، وأفعال الكلام، والمبادئ العقلية والشرعية في بناء الحجة الفقهية. وعبر دراسة تطبيقية لنماذج مختارة من كتب فقهية رئيسية، يهدف البحث إلى تقديم تحليل يدعم فهم دينامية الخطاب الفقهي ويشرح استمراريته في الحياة الإسلامية المعاصرة.

أسئلة البحث :

1-كيف يمكن فهم الحجاج في سياق اللسانيات التداولية؟

2-ما العناصر التي تشكل البنية الحجاجية في النصوص الفقهية؟

3-كيف يحقق الخطاب الفقهي توازنًا بين السلطة المعرفة وفعالية التأثير؟

4-ما هي الاستراتيجيات التداولية الشائعة في إنشاء الحجة الفقهية؟

المنهجية:

المنهج التحليلي التداولي: لتحليل عناصر الحجاج في بعض الخطابات الفقهية المختارة.

أدوات التحليل:

نماذج من كتب فقهية مختارة (مثل: النووي، ابن قدامة، ابن رشد).

تطبيق مفاهيم التداولية: المسلّمات، أفعال الكلام، المقصدية، والسياق.

المبحث الأول

التعريف الاصطلاحي واللغوي للحجاج

المطلب الأول : تعريف الحجاج

أ/ التعريف اللغوي للحجاج:مصدر كلمة الحجاج في اللغة يأتي من الجذر "حج" والذي يعني الرغبة أو الإتيان بشيء يهدف إليه الفرد. الحجة تشكل برهاناً أو دليلاً، وهناك من يقول إن هذا الاسم يعود إلى أنها تُقصد، مما يعني أنها تهدف إليها، سواء من ناحية الفهم أو التطبيق.

[1]

التعريف الاصطلاحي للحجاج: في الاستخدام الاصطلاحي، يُفهم الحجاج على أنه استخدام الأدلة والبراهين والمنطق بهدف تأكيد رأي معين أو دحض رأي آخر. يتضمن ذلك مجموعة متنوعة من الطرق التي تسعى لإقناع الشخص المتلقي بصدق فكرة أو موقف محدد من خلال الاستدلال العقلي والمنطقي.

بعض الدراسات تعرف الحجاج أيضاً على أنه "فعالية خطابية تفاعلية تهدف للإقناع وتعتمد على الحجاج اللغوي ووسائل الإقناع".في مجالات مثل الفلسفة، البلاغة، الجدل، السياسة والقانون، يُعتبر الحجاج أداة أساسية في التواصل بين البشر، حيث يعزز الفهم المتبادل ويساعد في إيجاد حلول توافقية.عرف بعض الأصوليين الحجة بأنها الدليل المقبول شرعاً، سواء كان يقينياً (مثل النص القرآني) أو ظنياً (مثل الأمارات). وهذه الحجج تلزم الفكر بقبولها، ولا يمكن إنكارها بشكل منطقي.[2]

ب/ تطور مفاهيم الحجاج في البلاغة القديمة والتأثيرات اللسانية الحديثة : في البلاغة القديمة ، اتصل مفهوم الحجاج بمفاهيم فلسفية كالفلسفة الأفلاطونية والسفسطائية والأرسطية، حيث كان يعني عملية جدلية تركز على البحث عن الحقيقة، مع متابعة أفكار مثل الممكن والضروري والحقيقة المطلقة.كان الهدف من البلاغة في تلك الفترة هو إقناع جمهور محدد خارج مجال الحقيقة المطلقة، وكانت تعتمد على تقنيات بلاغية تقليدية مثل الصور الفنية، حيث كان الجانب الجمالي يفوق المنطقي. مع مرور الزمن، وخصوصًا بعد انتهاء الإمبراطورية الرومانية وحتى بداية القرن العشرين، بدأت البلاغة تتقلص من كونها نظرية شاملة للحجاج إلى مجرددراسة للصيغ والأساليب، مع تراجع الجانب الحجاجي المنطقي.[3]

التأثيرات اللسانية الحديثة على مفاهيم الحجاج : أدت اللسانيات الحديثة إلى إحياء مفهوم الحجاج من خلال أبحاث التداولية ونظريات الخطاب، حيث أصبح يُعتبر نشاطًا لغويًا حواريًا يقدم الحجج في سياق تواصلي بين أكثر من طرف،

مع التركيز على العلاقة بين اللغة والمعنى والإقناع.ركزت أبحاث الحجاج المعاصرة، مثل تلك التي قام بتطويرها فيليب بيرلمان وجيل غوتييه، على بناء نظرية جديدة للحجاج تعيد الربط بين البلاغة والمنطق والتفكير، حيث وسعت مفهوم الحجاج ليشمل أشكالًا عديدة من الحجج داخل الخطاب، وليس فقط الأساليب البلاغية التقليدية.يتداخل الحجاج الحديث بين المنطق والصياغة الأسلوبية، ويقوم على تحليل الخطاب كحوار تفاعلي يتضمن تبادل الحجج، مما يجعل البلاغة أكثر ديناميكية ومرونة في معالجة موضوعات الإقناعأدى هذا التطور إلى توسيع نطاق البلاغة، حيث لم تعد محصورة في قيود صارمة، بل أصبحت مجالًا مفتوحًا لدراسة أنماط مختلفة من الحجاج، وأساليب الوصول والفصل بين الحجج في الخطاب، مع التركيز على السياق الثقافي والتواصل.[4]

المطلب الثاني : التداولية بوصفها إطارًا منهجيًا :

التداولية تعتبر إطارًا منهجيًا حديثًا يركز على دراسة اللغة حسب استخدامها الفعلي. وتكشف هذه الدراسة عن المعاني الخفية والأهداف وراء الخطاب، بناءً على التفاعل بين المتحدث والمستمع في سياقات تواصل معينة. وفيما يلي توضيح شامل لأهم جوانب هذا الإطار المنهجي :

أ/ نشأة اللسانيات التداولية :تبلورت اللسانيات التداولية خلال تطور مجالات المعرفة واللغويات، حيث ظهرت كرد فعل على النقص الذي كانت تعاني منه الأساليب التقليدية في اللغة (كالأسلوب البنيوي والتوليدي) في تفسير الظواهر اللغوية التي تتطلب أخذ السياق في الاعتبار.ويُنسب الفضل في وضع مفهوم هذا المجال إلى الفيلسوف تشارلز موريس، الذي أشار إلى ثلاثة جوانب في نظرية العلامات (السيمائيات): القواعد (التركيب)، المعاني (الدلالة)، والتداولية (علاقة العلامات بمستخدميها).ويعتبر بدء ظهور التداولية كتوجه لغوي مستقل مرتبطًا بأعمال فلاسفة اللغة في مدرسة أكسفورد، وخاصة جون أوستن، جون سيرل، وبول غرايس، الذين درسوا كيفية توصيل الرسائل ودور السياق في فهم المعاني. في سبعينيات القرن العشرين، شهدت اللسانيات التداولية تطورًا كبيرًا، حيث أصبحت تيارًا موازنًا للبنيوية والتوليدية مع التركيز على فهم اللغة كفعل تواصلي بدلاً من مجرد بناء لغوي.[5]

ب/ المفاهيم المركزية: السياق، المقصدية، أفعال الكلام، المسلمات التداولية:

-السياق: يُعتبر السياق جزءًا أساسيًا من التداولية، لأن فهم المعنى الحقيقي للجملة يتطلب الانتباه للظروف التي قيلت فيها، مثل المكان، الزمان، العلاقة بين المتحدث والمستمع، والمعرفة المشتركة.

-المقصدية: تركز التداولية على أهداف المتحدث من الرسالة، أي ما يسعى لإيصاله إلى المستمع من خلال استخدام اللغة، وليس المعنى الحرفي للكلمات فقط.

-أفعال الكلام: تشير إلى فكرة أن كل حديث هو عمل (فعل) يترك أثرًا في العالم، مثل الوعد أو الأمر أو الاعتذار. وقد قام أوستن وسيرل بتطوير نظرية أفعال الكلام التي تربط بين القول والفعل في التواصل.[6]

المسلمات التداولية: تمثل القواعد الضمنية التي تتحكم في التخاطب، مثل مبدأ التعاون الذي وضعه بول غرايس، والذي يحتوي على أربع قواعد (الكم، الكيف، الصلة، والطريقة). ولها أهمية في ضمان التواصل الفعال بين المتحدثين.

ج/ العلاقة بين التداولية والحجاج:تتداخل مجالات التداولية والحجاج حيث يدرسان الخطاب في سياقه التواصلي، ويمتلكان اهتمامًا بكيفية إقناع المستمع وإيصال الرسالة المراد توصيلها. ثمة تياران رئيسيان يلتقيان في دراسة الحجاج هما: التيار الفلسفي المنطقي (الذي يحلل الحجج بناءً على بنيتها المنطقية)، والتيار اللساني التواصلي (الذي يهتم بدور المتحدث والمستمع والسياق في الخطاب). توفر التداولية أدوات تحليلية تساعد في فهم الأساليب والهياكل الحجاجية في الخطاب، كما تكشف عن الأهداف الضمنية والطرق التي يستخدمها المتحدث لإقناع المستمع بقبول حجته أو رسالته.وبهذا، يصبح الحجاج جزءًا من التداولية، ويتمثل التقاطع الأهم بينهما في دراسة الخطاب الحجاجي ضمن سياقه التواصلي حيث تتداخل الأهداف والقواعد التداولية مع البنية الإقناعية للحجاج.[7]

المطلب الثالث : مدخل إلى الخطاب الفقهي :

يعتبر الخطاب الفقهي واحدة من أهم جوانب الخطاب الديني الإسلامي، حيث يعمل كحلقة وصل بين النصوص الشرعية من جهة، والواقع الاجتماعي والسياسي من جهة أخرى. يهدف الخطاب الفقهي إلى تفسير الأحكام الشرعية وتكييفها لتلبية احتياجات وأوضاع الناس، معتمدًا على أدلة شرعية واضحة، ومراعيًا مقاصد الشريعة في جوانب الحياة المختلفة.

أ/ تعريف الخطاب الفقهي:يعني مجموعة الأقوال والنصوص التي تصدر من الفقهاء أو الهيئات الشرعية، والتي تهدف إلى توضيح الحكم الشرعي في المسائل التطبيقية، أو تقديم فتاوى إرشادية للمجتمع، أو تعليم الأحكام بطريقة منظمة. يستند هذا الخطاب إلى المصادر الأساسية للتشريع (مثل القرآن والسنة) وكذلك إلى أدلة أخرى معتمدة ضمن الفقه الإسلامي مثل الإجماع والقياس والاستصحاب والمصالح المرسلة.[8]

ب/ أبرز خصائص الخطاب الفقهي:

1-الاعتماد على الأدلة الشرعية: حيث يتم تقييم كل قول أو حكم بناءً على وجود دليل من المصادر المعتمدة.
2-التركيز على الواقع وتطبيق الحلول العملية: يأخذ الخطاب الفقهي في الاعتبار طبيعة الناس وظروفهم، ويسعى لتقديم الحلول الشرعية المناسبة في كل زمان ومكان.
3-الوضوح والتنظيم: يتميز بتقديم الأدلة والتحليل بدقة ووضوح، مع اتباع منهج علمي في الاستنباط.
4-التوازن والاعتدال: يحرص على تحقيق التوازن بين التشدد والمرونة، ويسعى لتيسير الأحكام ورفع الضغط عن المكلفين.
5-مواكبة العصر: يلتزم بالتحديث، ويقدم حلولًا شرعية للمواضيع المعاصرة مع الحفاظ على الأسس الشرعية.[9]
ج/ أنواع الخطاب الفقهي :يمكن تقسيم الخطاب الفقهي إلى عدة أنماط رئيسية، وهي:
1-الخطاب الاستدلالي: يركز على تقديم الأدلة الشرعية والنقاش الأصولي حول الأحكام والتمييز بين الآراء المختلفة.
2-الخطاب الإفتائي: يتناول الرد على الأسئلة الشرعية ويطرح الحكم الشرعي في القضايا المطروحة، مع توضيح الأدلة والأسباب.
3-الخطاب النقدي: يقوم بمناقشة الآراء الفقهية السابقة وتحليلها وتقييمها بناءً على المعايير الشرعية والطرق المنهجية، مما يساهم في تطوير الفقه عبر الزمن.
4-الخطاب التعليمي: يسعى لتعليم الأحكام الشرعية للطلاب والمجتمع بطريقة منهجية وواضحة، سواء من خلال الكتب أو المحاضرات أو الدروس.[10]
د/ مكانة الحجاج في تشكيل الحكم الشرعي :يعتبر الحجاج (أي عرض الأدلة والبراهين) عنصرًا أساسيًا في تشكيل الحكم الشرعي، إذ لا تُعتبر الأحكام الفقهية ذات قيمة بدون عرض أدلتها واستدلالاتها. يظهر دور الحجاج في الخطاب الفقهي من خلال:
1-إقناع المخاطب بصحة الحكم: يعرض الفقيه الأدلة الشرعية، ويدحض الشبهات، ويظهر قوة الحجة أو ضعفها.
2-تفضيل بين الآراء: في الحالات الجدلية، يعتمد الحجاج على مقارنة الأدلة وتفصيل وجهات النظر، ويحدد الأقوى بينها.
3-تعزيز الثقة في الأحكام الشرعية: بتوضيح درجة تطابق الحكم بالأدلة الشرعية، وعدم الاكتفاء بالرأي الشخصي أو العاطفي.
ح/ أنواع الحجاج الفقهي:
1-الحجاج النقلي: يعتمد على القرآن الكريم والسنة.
2-الحجاج العقلي: من خلال القياس والاستدلال العقلاني.
3-الحجاج المقاصدي: يرتكز على مقاصد الشريعة في استنباط الأحكام.

المبحث الثاني

البنية الحجاجية في الخطاب الفقهي

المطلب الأول: البنية الحجاجية في الخطاب الفقهي

أ/ الأطراف المشاركة (المتكلم – المتلقي) :تقوم الحجاج على تواصل يجري بين طرفين أساسيين: المتكلم (أو الكاتب) الذي يسعى لإقناع الآخرين، والمتلقي الذي يتلقى الرسالة. يعرف الحجاج بأنه نوع من الحوار الموجه، لا يقتصر على نقل المعلومات فحسب، بل يسعى أيضًا لتوجيه المتلقي وتغيير آراءه أو تقوية معتقداته. يأخذ المتكلم بعين الاعتبار معارف المتلقي وقيمه وتوقعاته ليشكل خطابه بطريقة تناسب هذه الخلفية، مما يعزز الطابع الجدلي والتفاعلي للحجاج.[11]
ب/ المقدمات والمسلمات:تبدأ كل بنية حجاجية قوية بمقدمات واضحة ومسلمات تُقبل من الطرفين، أو على الأقل من المتلقي المُستهدف.

المقدمات: تمثل نقاطًا أو أفكارًا تُستخدم كأساس للاستدلال، حيث تُؤسس عليها الحجة. ينبغي أن تكون هذه المقدمات منسجمة منطقيًا وغالبًا ما تُطرح في بداية الخطاب الحجاجي.

المسلمات: تشمل الأفكار أو القيم أو المبادئ التي يُعتقد أن المتلقي سيقبلها أو يصعب عليه إنكارها، وغالبًا ما تكون شائعة ومعروفة في المجتمع أو السياق الثقافي الذي يندرج فيه النص.

تُستعمل المقدمات والمسلمات لبناء استدلالات، وتُستخدم للوصول إلى نتائج أو أطروحات يرغب الكاتب في إثباتها أو الدفاع عنها. هذه النتائج قد تكون صريحة أو غير مباشرة، كما يمكن أن يقدم الكاتب حجة مضادة ليقوم بتفنيدها بأدلة أقوى.[12]

ج/ الأساليب التبريرية والتفسيرية الإنشائية :تُعتبر الأساليب التبريرية والتفسيرية من الآليات الأساسية في بناء الحجاج، حيث يعتمد المتكلم على أدوات لغوية ومنطقية لإقناع المتلقي.

-الأساليب التبريرية: تستخدم لتبرير الرأي أو الموقف من خلال تقديم الأدلة والشهادات، سواء كانت عقلية (منطقية)، أو واقعية (أمثلة أو أحداث)، أو تستشهد بنصوص دينية أو أدبية. كما يتم استخدام الروابط المنطقية (مثل: لأن، لذا، بالتالي) لتوضيح العلاقة بين المقدمات والنتائج.

-الأساليب التفسيرية: تهدف إلى شرح الأسباب والعلاقات بين الأفكار أو الأحداث، وبيان كيف تؤدي المقدمات إلى النتائج. تشمل هذه الأساليب الشرح، التفصيل، المقارنة، الاستنتاج السببي، والانتقال من فكرة لأخرى عبر الحوار أو الجدل.

-الأساليب الإنشائية: مثل الاستفهام الحجاجي، النفي، الأمر، التكرار، واستخدام الروابط الحجاجية (مثل: ولكن، بل)، وكلها تعزز الحجة وتظهرها بشكل أقوى.[13]

المطلب الثاني : وسائل الحجج في الفقه الإسلامي:

تعتبر وسائل الحجج أدوات أساسية في صياغة الخطاب الفقهي وإقناع المعارضين وتأسيس القوانين الشرعية. يمكن تلخيص أهم هذه الوسائل في ثلاثة نقاط رئيسية:

1-الاستشهاد بالنصوص (الآيات والأحاديث) :يبدأ الفقهاء استدلالاتهم بالنصوص الشرعية من القرآن والسنة، حيث يستشهدون بها بشكل مباشر أو يستخدمون الأمثلة لتوضيح الأحكام وتقريب المفاهيم.هناك أنواع عديدة من الأمثلة القرآنية: منها التشبيه الواضح (مثل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾(يونس، 24)، والتشبيهات الضمنية، والأمثلة التي لا تحتوي على تشبيه أو استعارة، بل تأتي كجمل مختصرة ذات معانٍ بليغة.الغرض من استخدام الأمثلة في القرآن والسنة هو التحفيز أو التنفير أو تقريب المعاني الذهنية بشكل ملموس، وهي وسيلة بلاغية حجج قوية، لكن العلماء يحذرون من استخدامها في سياقات غير شرعية للمحافظة على احترام النص.[14]

2-القياس والاستدلال الفقهي : القياس هو الأصل الرابع في استنباط الأحكام بعد النصوص والإجماع، ويشير إلى ربط فرع بأصل بسبب مشترك بينهما.يستخدم الفقيه القياس عندما لا يجد نصًا مباشرًا أو إجماعًا في مسألة جديدة، فيقوم بمقارنة هذه المسألة بمسألة أخرى لها نص موجود بناءً على سبب مشترك، مع الأخذ بعين الاعتبار الضوابط والشروط الشرعية.يعتمد القياس الفقهي على منطق عقلاني منظم، ويعد من أوسع وسائل الاستدلال العقلية في الخطاب الفقهي، حيث يُستخدم لإقناع المعارضين وإثبات ملاءمة الشريعة في كل زمان ومكان.[15]

3-إنشاء التعارض الترجيح : عندما يحدث تعارض بين الأدلة أو القياسات أو النصوص، يعتمد الفقهاء على قواعد الترجيح لتقديم دليل على آخر، مثل: قوة السند، وضوح الدلالة، توافق الأهداف، أو العمل الذي قام به الصحابة.إنشاء التعارض والترجيح هي عملية حجج دقيقة تهدف إلى تفضيل الرأي الأقوى أو الأكثر صلاحية، وتعتبر من أهم أدوات الاجتهاد الفقهي في معالجة الطارئات والمسائل المتنازع عليه.[16]

المبحث الثالث : النسق الحجاجي في السياق الفقهي: النسق الحجاجي في سياق الفقه يُعتبر من الأبعاد الأساسية التي تميز الخطاب الإسلامي الفقهي. فهو يمثل الإطار الذي تُبنى عليه عمليات الاستدلال والتقييم بين الآراء الفقهية المتنوعة، ويدل على طبيعة الاجتهاد والاختلاف في الفقه الإسلامي. سنقوم بتوسيع شرح مكونات النسق الحجاجي الفقهي من خلال النقاط التالية:

أ/تسلسل الحُجّة : ترتيب الحُجّة في الحجاج الفقهي :في الفقه الإسلامي، لا يقتصر تسلسل الحُجّة على تنظيم منطقي فقط، بل هو عملية تعتمد على تكديس المقدمات التي تختلف بين القطع والظن. تبدأ الحُجّة بمقدمات عامة مثل الأدلة الشرعية أو القواعد الأصولية، ثم تتابع إلى مقدمات خاصة تتعلق بحالات معينة، وتعتمد في نهاية المطاف على استنتاج الحكم الشرعي. يتميز هذا التسلسل بالمرونة، حيث لا يُشترط فيه اليقين الكامل، بل يُعد غالب الظن كافياً، مما يعكس طبيعة الحجاج في الفقه الذي يعمل مع نصوص تشمل مستويات متعددة من الدلالة، ويرمي إلى التأكيد على القوة والرجحان لرأي معين مع تسليط الضوء على الأدلة وتقوية موقفها ضد الرأي المعارض. كما أن الحجاج الفقهي يعتمد على تنظيم المحاججة بهدف إغلاق ثغرات الاعتراضات، والتركيز على نقاط القوة في الرأي المستهدف ترجيحه، مع مراعاة أن هذا الترجيح يتم بين الظنيات وليس القطعيات، مما يجعل الحجاج عملية مرنة تتكيف مع سياقات الاجتهاد المختلفة.[17]

ب/المقدمات الكبرى والصغرى في الحجاج الفقهي : المقدمات الكبرى في الحجاج الفقهي تعبر عن القواعد العامة أو الأحكام المستندة إلى النصوص الشرعية المعروف مثل القرآن والسنة، أو تتعلق بالقواعد الأصولية التي تحدد إطار الاستدلال. بينما المقدمات الصغرى تمثل الحالات الخاصة التي تُطبق عليها القواعد العامة. هذا التمييز يعد مهماً لفهم كيفية استنباط الحكم الشرعي، إذ يتطلب الربط بين النص العام والواقع الخاص بطريقة منظمة منطقية، مثلاً، قاعدة تحريم الربا تعتبر مقدمة كبرى، وتطبيقها على حالة معينة مثل نوع بيع يُشير إلى المقدمة الصغرى، ومن ثم يتم الوصول إلى الحكم الشرعي النهائي. يساهم هذا البناء في تمكين الفقهاء من استخدام النصوص بشكل ممنهج، مما يتيح لهم القدرة على ترجيح الآراء وفقاً لقوة المقدمات ومدى تعلقها بالموضوع.[18]

ج/ استثمار السلطة الشرعية والمعرفية في الحجاج الفقهي: الحجاج الفقهي يستفيد من السلطة الشرعية والمعرفية عبر:

1-الاعتماد على النصوص الشرعية: يعتبر القرآن والسنة المصدر الرئيسي للسلطة الشرعية، حيث يُعد الدليل اللفظي أحد أبرز أدوات الحجاج، وينبغي الاستناد إلى قواعد اللغة العربية لضمان فهم النصوص بدقة. فالشريعة عربية، واللغة تُعتبر المرجع الذي يحفظ النصوص من التأويلات الخاطئة.

2-المعرفة العميقة للأصوليين والفقهاء: فهمهم الواسع للقواعد الأصولية واللغوية يمكّنهم من تفسير النصوص واستنباط الأحكام بأسلوب علمي ومنهجي، مما يسمح لهم بترجيح الأدلة المتعارضة، وإبراز قوة الحجج وإغلاق المنافذ أمام الاعتراضات.

3-المرونة في الحجاج: لا تقتصر الحجاج الفقهي على الأدلة القاطعة فقط، بل تشمل أيضاً الترجيح بين الأدلة الظنية، مما يعكس طبيعة الاجتهاد وتطوره، ويفتح المجال لمناظرات وحوارات بناءة بين العلماء.

4-الاعتماد على القواعد اللغوية: تلعب القواعد اللغوية دوراً أساسياً في الحجاج الفقهي، حيث تساعد على ضبط فهم النصوص الشرعية وتحقيق المعاني الصحيحة، مما يسرع من قوة الحجج ويُعزز من قيمة الأقوال.

5-طبيعة الخطاب الحجاجي: لا يقتصر على توصيل الحكم فقط، بل يهدف إلى إقناع المخاطب أو المعارض، مستخدماً وسائل الخطاب الحجاجي من تقديم الأدلة، وترتيبها، واستخدام اللغة بشكل مناسب، مع الأخذ بعين الاعتبار السياق الاجتماعي والثقافي للخطاب الفقهي.[19]

المبحث الثالث

الاستراتيجيات التداولية في الخطاب الفقهي

المطلب الأول: أفعال الكلام في الخطاب الفقهي :

يعتبر الخطاب الفقهي من الأنواع الرئيسية للخطاب الديني، حيث يركز على توضيح الأحكام الشرعية وإرشاد المكلفين في جوانب حياتهم الدينية والدنيوية. يعتمد هذا النوع من الخطاب على مجموعة من الأساليب اللغوية والمنطقية المعروفة في اللغة الحديثة باسم "أفعال الكلام". هذه الأفعال تشمل: الأوامر، النواهي، الاستفسارات، الجزم، وكذلك أفعال التقرير، الافتراض، والتنبيه. وتجسد تلك الأفعال أهميتها من كونها الأداة الأساسية لتأكيد الحكم الشرعي في ذهن المخاطبين وضمان وضوح التكاليف الشرعية لهم.

أ/ أوامر ونواهي واستفهام وجزم:

1- الأوامر :

-تعريفها:الأمر هو طلب القيام بفعل بطريقة تتضمن الإلزام، حيث يتوقع الآمر من المأمور تنفيذ هذا الفعل.

-صيغها في النصوص:تظهر الأوامر عادة في صيغة فعل الأمر (افعل)، أو بعبارات أخرى مثل الفعل المضارع المرتبط بلام الأمر (ليكتب)، أو اسم فعل الأمر (عليك).

-دلالتها الفقهية:يُعتبر الأصل في الأمر هو الوجوب، ما لم تكن هناك دلائل تشير إلى الندب أو الإباحة أو الإرشاد. على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿أقيموا الصلاة﴾، فهنا يعتبر الأمر واجبًا.[20]

-أنواع الأوامر:

1-أمر جازم: للدلالة على الوجوب.

2-أمر غير جازم: للدلالة على الندب أو الإباحة.

2-النواهي:

-تعريفها:النهي هو طلب الامتناع عن فعل بطريقة تلزم المخاطب.

-صيغها:تظهر غالبًا بصيغة "لا" الناهية مع الفعل المضارع (لا تقتلوا)، أو بعبارات مثل (إياك والكذب)..

-دلالتها الفقهية:يُعتبر الأصل في النهي التحريم، ما لم توجد دلائل تدل على الكراهة. مثلًا: قوله تعالى: ﴿ولا تقربوا الزنا﴾(الإسراء، 32).

-أنواع النواهي:

1-نهي جازم: يدل على التحريم.

2-نهي غير جازم: يدل على الكراهة.[21]

3-الاستفهام:

-تعريفه:هو طلب المعرفة أو الفهم بشأن شيء غير معروف للمخاطب.

-صيغ الاستفهام:تشمل أدوات مثل: هل، ما، من، متى، أين، كيف، كم، والهمزة.

-دلالاته في الخطاب الفقهي:

الاستفهام الحقيقي: لطلب المعرفة.

الاستفهام التقريري: لإلزام المخاطب بالاعتراف.

الاستفهام الإنكاري: لنفي أو استبعاد شيء.

الاستفهام التوبيخي: للتعبير عن العتاب أو اللوم.

-أمثلة فقهية:قول النبي صلى الله عليه واله وسلم : «أتدرون ما الغيبة؟» (صحيح مسلم، 2589)هو استفسار تقريري يهدف لإجبار الصحابة على الاعتراف ثم توضيح الحكم.[22]

4-الجزم:تعريفه:الجزم هو الإلزام في الطلب، سواء كان في الأمر أو النهي، ويعتبر من القرائن المهمة لتحويل دلالة الكلام نحو الوجوب أو التحريم.

-أثره في الفقه:عندما يكون الأمر أو النهي جازمًا، يُشير إلى الوجوب أو التحريم، لكن إذا لم يكن هناك جزم فهو قد يدل على الندب أو الكراهة.

-أمثلة:قوله تعالى: ﴿كتب عليكم الصيام﴾(البقرة، 183) ، صيغة "كتب" تدل على الجزم والوجوب.[23]

ب /أفعال التقرير والافتراض والتنبيه:

1-أفعال التقرير: تعريفها : التقرير هو إلزام المخاطب بالاعتراف بأمر معروف لديه، أو توثيق حكم شرعي في ذهنه.

-وسائله:الاستفهام التقريري: مثل "ألست قد فعلت كذا؟"

الإخبار المؤكد: مثل "إن الله حرم الربا".

-وظيفته الفقهية:يُستخدم التقرير لترسيخ الحكم الشرعي، وإزالة الشك، وإلزام المخاطب بالاعتراف بالحكم أو الواقع.

أمثلة : قول النبي صلى الله عليه واله وسلم : «ألا هل بلغت؟» في خطبة الوداع.[24]

2-أفعال الافتراض : تعريفها:الافتراض هو إنشاء حكم شرعي يعتمد على حالة مستقبلية أو محتملة لم تحدث بعد.

-وظيفته الفقهية:يتم استخدام الافتراض لتوضيح الأحكام المرتبطة بتحقق شروط معينة أو موانع، أو لعرض مسائل فرضية قد تحدث في المستقبل.

-أمثلة:قول الفقهاء: "لو أن رجلاً أفطر في رمضان بدون عذر... "، هو افتراض لقضية لبيان حكمها.[25]

3-أفعال التنبيه :تعريفها:التنبيه هو لفت انتباه المخاطب إلى أمر بالغ الأهمية أو شرط في الحكم الشرعي.

-وسائله:استخدام أدوات مثل: "ألا"، "انتبِه"، "إياك"أو تكرار الحكم أو التأكيد عليه.

-وظيفته الفقهية:يحمي المكلف من ارتكاب الأخطاء،

أمثلة:قول النبي صلى الله عليه واله وسلم : «إياكم والجلوس في الطرقات»(شرح النووي، 2121)

ج/ استخدام أفعال الكلام لترسيخ الحكم الشرعي:

1-بناء الدلالة الشرعية :تعتبر أفعال الكلام كأدوات لصياغة الحكم الشرعي وتأكيدة في ذهن المكلف. الأوامر والنواهي تحدد ما يجب فعله أو تجنبه، بينما الاستفسارات والتقارير توضح الأحكام وتُلزم المخاطب بتقبلها. بينما الافتراضات والتنبيهات تُستخدم لتوضيح شروط الأحكام وحدودها.

2-تحقيق مقاصد الشريعة: الخطاب الفقهي يستخدم أفعال الكلام لتحقيق أهداف الشريعة من خلال التيسير، وتقليل المشقة، وتوضيح التكليف. فإن التنبيه يحمي المكلف من الوقوع في الغفلة، والافتراض يوسع فهمه ويجعلهم مستعدين للمستقبل، بينما التقرير يعزز اليقين في الحكم.

3-معالجة الإشكال ورفع الالتباسات :يساعد تنوع أفعال الكلام على إزالة الغموض حول الأحكام الشرعية، ويساهم في توضيح الأمور التي قد تتداخل على المكلفين. يُستخدم الاستفهام لتوضيح الأسئلة، بينما يقضي التقرير على الشك، ويعمل التنبيه على منع أي سوء فهم.

4-الاستدلال الفقهي :الفقهاء يعتمدون في استنباط الأحكام على فهم دقيق لأنواع أفعال الكلام، حيث يفرقون بين الأوامر الحاسمة وغيرها، ويركزون على القرائن السياقية واللغوية لتحديد معاني النص الشرعي. كما يطبقون قاعدة "إعمال الكلام أولى من إهماله" للتأكد من عدم إبطال أي معنى شرعي محتمل.

المطلب الثاني : المسلمات التداولية وموقعها في الفقه

أ/ المبادئ العقلانية والدينية: تعتبر المبادئ العقلانية والدينية أسسًا مهمة في التفكير الفقهي، حيث يعتمد الفقيه في استخراج الأحكام على مجموعة من الأسس التي تُعتبر بديهيات عقلية أو ثوابت شرعية. فالمبادئ العقلانية مثل مبدأ عدم التناقض، والعدالة، وضرورة عدم تكليف الشخص بما لا يُمكن تحمله، تعد مرتكزات حيوية لبناء الحجة الفقهية، حيث تستخدم لتحقيق الفهم السليم وتوجيه الاستدلالات. بينما المبادئ الشرعية هي القواعد العامة والثابتة في الشريعة، مثل قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" وقاعدة "اليقين لا يزول بالشك"، وتعمل هذه القواعد كإطار مرجعي للفقيه أثناء معالجة المسائل والفتاوى.[26]

ب /أهمية المبادئ في إقناع الفقهاء: تقوم هذه المبادئ بدور مركزي في الإقناع الفقهي؛ لأنها تشكل قاعدة مشتركة بين الفقيه والجمهور، مما يزيد من قبول الحجة وفاعليتها. فعندما يستند الفقيه إلى مبادئ عقلانية أو شرعية متفق عليها في حجته، يضفي على أقواله قوة حتمية ويقلل من مساحة الخلاف. كما أن الاستناد إلى المبادئ يزيد من موضوعية الحجة ويمنحها منطقية، ويساعد على تقريب الآراء بين المتباينين، خاصة إذا كانت هذه المبادئ متفق عليها أو مقبولة بشكل عام بين العلماء.[27]

ج/ دلالات السياق كجزء من الحجة:تُعتبر دلالات السياق من العناصر الأساسية في الحجة الفقهية الإسلامية، حيث يعتمد الفقيه على فهم السياق اللغوي والاجتماعي والقانوني للنصوص لتوجيه الاستدلال. فالسياق يبين المعنى المقصود من الكلمات، ويكشف عن الأهداف، ويساعد في فهم الظروف التي تحيط بالنص أو الواقعة موضوع البحث. وقد أشار الباحثون إلى أن الأصوليين اعتبروا دلالات السياق جزءًا أساسيًا من أدواتهم في الحجة، حيث يتم استخدامها لتفضيل رأي على آخر، أو لحل التعارض بين الأدلة، أو لتحديد نطاق الحكم الشرعي. كما أن السياق يعتبر دليلًا معتبرًا في تحديد عموم النص أو خصوصيته، وإطلاقه أو تقييده، مما يجعله عنصرًا حاسمًا في بناء الحجة الفقهية وإقناع المستمعين.

"لقد أدرك الأصوليون أهمية السياق في تفسير النصوص الشرعية، ورأوا أن دلالات السياق هي أدوات جديرة بالاعتبار في الترجيح والاستدلال، حتى أصبحت جزءًا من الحجة الفقهية الحديثة. "وبذلك يتبين أن المبادئ العقلانية والدينية ودلالات السياق تشكل معًا نظامًا متكاملاً في الحجة الفقهية، وتساهم في تحقيق الإقناع والتنظيم المنهجي في معالجة القضايا الفقهية.[28]

المطلب الثالث :المقصدية وحضور المتلقي في الخطاب الفقهي:

أ/بناء الخطاب الفقهي نحو الإقناع: يقوم الخطاب الفقهي على هدف واضح يسعى للإقناع، حيث يسعى الفقيه للتأثير على المتلقي بواسطة حجج عقلية ونقلية، مع الأخذ في الاعتبار السياق الاجتماعي والثقافي للجمهور. يعتمد الفقيه على مجموعة متنوعة من استراتيجيات الإقناع، مثل الاستدلال بالحقائق والأحداث لإقناع العقل، واستخدام أمثلة وشواهد لتقريب المفاهيم، وكذلك الاستناد إلى مراجع وموثوقيات لتدعيم الحجة. كما يحرص الخطاب الفقهي على التأثير في إرادة ومشاعر المتلقي، مما يجعله ينتقل من الإقناع العقلي إلى التأثير السلوكي، مستهدفًا تعديل المعتقدات أو السلوكيات الدينية والاجتماعية.[29]

ب/ مراعاة خلفية المتلقي (العامي، المجتهد، الطالب):يعتبر الخطاب الفقهي أن مستوى المتلقي وخلفيته العلمية لها قيمة كبيرة:
-العامي: يتم مخاطبته بلغة سهلة، مع تركيز على الجوانب العملية والتطبيقية، وتوضيح الأحكام ببساطة دون التعمق في التفاصيل الفقهية أو النقاشات.

-الطالب: يتم تقديم الخطاب بمزيد من العمق، مع تفسير الأدلة وشرح طرق الاستدلال، بالإضافة إلى تدريبه على تحليل النصوص وفهم الأسباب وراءالأحكام.

-المجتهد: ينتهج خطاباً علمياً دقيقاً، مع توضيح أصول الاختلاف وأدلة المذاهب، وتحفيزه على التفكير النقدي والإخضاع، كما فعل ابن رشد في "بداية المجتهد" عندما وجه خطابه للمجتهدين والمتوسطين، مراعياً أولئك المقلدين الذين لا يتوفر لديهم أدوات الاستدلال.

إن مراعاة هذه الخلفيات تضمن فعالية الخطاب الفقهي، حيث يتم بناؤه بناءً على فهم عميق لمستوى المتلقي واحتياجاته المعرفية، مما يزيد من تأثيره الإقناعي.[30]

ج/ التقنيات التداولية في إدارة الخلاف الفقهي :يعتمد الخطاب الفقهي على استخدام تقنيات تداولية متعددة للتعامل مع الخلافات، ومن هذه التقنيات:

-استحضار السياق والمقام التخاطبي: حيث أن الكلام الفقهي يتطلب فهمه ضمن سياقه، مراعياً السياق، وحالة المتحدث، ومعنى الكلمات، والأعراف الاجتماعية.

-الجمع بين الأدلة: يسعى الفقيه إلى دمج النصوص الشرعية متى أمكن ذلك، موالياً بين التوافق والترجيح، فالشريعة تهدف إلى تقليل الاختلاف، كما أوضح ابن رشد.

-تحليل أصول الخلاف: يتم عرض الخلاف الفقهي عبر توضيح أصوله وشرح أسباب اختلاف الفقهاء، مما يساعد في تعزيز ثقافة الحوار وقبول التنوع.

-توظيف الفعل اللغوي: يعد الفقيه مستويات الأفعال اللغوية (مثل الأمر، والنهي، والإباحة...) كجزء من منهجه، موفرًا احتماليات ومقاصد لفهم السياق التخاطبي، وهذا ما ظهر في مناهج الشافعي والأحناف.

-الاحتكام إلى العرف: يتم الاخذ بالعرف في تفسير النصوص وتنفيذ الأحكام، مما يسمح بمرونة أكبر للخطاب الفقهي، مما يؤدي إلى توافقه مع واقع الناس.[31]

المبحث الرابع:

دراسة تطبيقية على نماذج من الخطاب الفقهي

المطلب الأول: تركيب الحجة في فتاوى النووي

أ/ مميزات الحجج الفقهية : تتميز الحجج الفقهية التي يقدمها النووي بعدة سمات منهجية:

1-الاستناد إلى النصوص: غالبا ما يبدأ النووي بالإشارة إلى النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويقوم باستخدامها بفعالية في تشكيل رأيه الفقهي، موضحًا دلالاتها اللغوية والشرعية.

2-عرض الآراء والمذاهب: يقوم النووي بتقديم آراء الفقهاء السابقين، خصوصاً من ضمن المذهب الشافعي، ثم يقوم بالمقارنة بينها، موضحًا نقاط القوة والضعف في كل رأي.

3-الترجيح والتوضيح: لا يكتفي النووي بعرض الآراء، بل يقوم بترجيح بعضها بناءً على قوة الدليل، أو توافقها مع القواعد الأصولية، أو تحقيق المنفعة، أو النظر في العرف.

4-التوثيق العلمي: يولي أهمية كبيرة لنسب الآراء لأصحابها وذكر مصادرها، مما يزيد من مصداقية الحجة.[32]

ب/: أساليب النقاش في فتاوى النووي:يعتمد النووي في أسلوبه الفقهي على تقنيات تداولية متطورة:

1-مراعاة المناسبة والسياق: يدرك النووي أهمية السياق لفهم النصوص وتطبيق الأحكام، حيث يميز بين الظروف والأشخاص، ويأخذ بعين الاعتبار متغيرات الزمان والمكان.

2-توجيه الخطاب للجمهور المستهدف: يتعامل النووي مع مستوى القارئ؛ فهو يستخدم لغة بسيطة للجميع، ويقدم تفاصيل دقيقة للطلاب، ويعميق النقاش للباحثين، مما يتضح في تنظيمه للمسائل وشرحه للمصطلحات.

3-معالجة الخلاف الفقهي: يأتي النووي بنهج هادئ عند مناقشة الخلافات الفقهية، حيث يوضح وجهة نظر كل رأي قبل أن يرجح أحدها، مع احترام الآراء المختلفة مما يعزز بيئة الحوار العلمي.

4-الانتباه للعرف والمصلحة: لا يتردد النووي في الأخذ بالعرف إذا لم يتعارض مع نص شرعي، ويعتبر المصلحة مدخلاً معترفًا به في بناء فتاواه.

5-الاعتماد على القواعد الأصولية: كثيرًا ما يتمسك النووي بقواعد أصولية مثل: "اليقين لا يزول بالشك" و"المشقة تجلب التيسير"، ويستخدمها كوسائل حجاجية في ترجيحاته.[33]

المطلب الثاني : دراسة نصوص فقهية مختارة عند ابن قدامة :

الإمام ابن قدامة المقدسي، الذي توفي عام 620 هـ، يُعتبر من أهم فقهاء المذهب الحنبلي. كتابه المغني يُعتبر قمة الكتابات الفقهية المقارنة. لم يقتصر على عرض فقط المذهب الحنبلي، بل تناول آراء المذاهب الأخرى، وقام بتحليل الأدلّة وترجيح بعضها على بعض بطريقة علمية دقيقة. المغني يتميز بثراء نصوصه في الفقه وتنوع أساليب خطاباته بين الفتوى والتعليم والمناظرة، مما يجعله مادة غنية للتحليل الخطابي.

أ/ تحليل بياني لأبواب فقهية مختارة من المغني : مكونات الحجاج وطريقة العرض عند ابن قدامة:

-عادة ما يبدأ ابن قدامة بمقدمة قصيرة تشرح رأي المذهب الحنبلي أو وجهة نظر الخرقي، ليقوم بعد ذلك بالتوسع في ذكر آراء المذاهب الأخرى، مستندًا في كل رأي على أدلة من القرآن والسنة والإجماع والقياس.

-مناقشة الأدلة العقلية ووسائل القياس.

-توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف بين المذاهب.

-تفضيل الأقوال من خلال توضيح مدى قوة أو ضعف الأدلة، وغالبًا ما يستخدم عبارات مثل "الأصح" و"الأقوى" و"الراجح عندنا".

-تتميز أسلوب المعالجة بالموضوعية وعدم التحيز، حيث يعرض الأدلة بشكل حيادي، ويشرح سبب تفضيله لإحدى الآراء، مع توضيح الاعتراضات والرد عليها، مما يعكس حوارًا علميًا.[34]

ب /أمثلة من الأبواب الفقهية:

-في أبواب البيوع، كتلك التي تتعلق بمسألة الأصناف المحرمة في حالة التفاضل، يبدأ بعرض النصوص الشرعية، ثم يستعرض آراء الفقهاء، مع تحليل منطقي لتلك الآراء قبل أن يصل إلى الترجيح.

-في أبواب النكاح، مثل موضوع تزويج الثيب دون إذنها، يستعرض الأدلة من السنة، ويقارن بين الآراء المختلفة للأئمة، موضحًا تمامًا سبب اختياره للقول الراجح.

المبحث الثالث : المقارنة بين خطابات فقهية متنوعة: الفروق بين الخطاب الإفتائي والخطاب التعليمي، مع تسليط الضوء على الخصائص التداولية لكل منهما، يمكن تلخيصها بالنقاط التالية:

1- يهدف الخطاب التعليمي إلى تعزيز المعرفة الفقهية عند المتعلم، وزيادة فهمه وتطوير مهاراته في التحليل والاستنتاج. فهو موجه لجمهور أكبر (مثل الطلاب أو المتعلمين) ويعتمد على التفصيل والشرح وعرض الأدلة المختلفة ومناقشتها، مع التركيز على تطوير الفهم العميق لدى المتلقي.

2-يسعى الخطاب الإفتائي إلى توضيح الحكم الشرعي في قضية معينة أو الإجابة على سؤال محدد من السائل، وغالبا ما يكون موجهًا لشخص أو مجموعة معينة تطرح السؤال، ويكون مرتبطًا بالسياق العملي واللحظي للشخص السائل، ويمتاز بالاختصار والوضوح والتركيز على إجابة مباشرة دون تفصيل أو تفرع.

3-من ناحية التداولية، يتميز الخطاب الإفتائي بارتباطه الوثيق بسياق السؤال وظروف السائل، حيث يأخذ بعين الاعتبار حالته وواقعه، ويميل إلى الطابع العملي، ويهدف إلى تحقيق الفهم السريع وحل الإشكالات، كما يتمتع بقصدية واضحة وسياق محدد، حيث يتغير محتواه حسب تنوع الأسئلة والسائلين.

4-بينما الخطاب التعليمي يتسم بكونه تفاعليًا بين المعلم والمتعلم، ويعتمد على استراتيجيات متعددة للتوضيح والإقناع، مع مراعاة الفروقات الفردية بين المتعلمين، ويستخدم السياق التعليمي لتحقيق فعالية الاتصال، كما يسعى إلى ترسيخ القيم والمفاهيم، ويعتمد على تنظيم المعلومات بشكل تدريجي وتبسيطها حسب الحاجة.

5-عادة ما يقتصر الخطاب الإفتائي على تقديم الرأي الراجح أو الحكم النهائي، بينما الخطاب التعليمي يعرض آراء متنوعة، ويناقش الأدلة، ويشجع على النقد والمقارنة، مما يجعله أكثر شمولية وعمقًا من الناحية التداولية.

6-تظهر التداولية في الخطاب التعليمي من خلال اهتمامه بتكييف اللغة وأسلوب الشرح وفق مستوى المتعلمين، والاستعانة بالأمثلة والتوضيحات، بينما الخطاب الإفتائي يركز على الدقة والاختصار والوضوح، ويبتعد عن التوسع إلا عند الضرورة.[35]

الخاتمة

النتائج

1-التحليل يكشف عن أن البنية الحجاجية في الخطاب الفقهي ليست ثابتة، بل تعتمد على تنظيم مرن يستند إلى الأدلة، ويجمع بين النقل والعقل والمقاصد، لاستهداف الإقناع بدلاً من مجرد التفسير.

2-يعتمد الخطاب الفقهي على تفاعل بين المتحدث والمستمع، حيث يؤخذ في الاعتبار السياق ومستوى المعرفة، مما يظهر فهمًا متقدمًا في بناء الحجة.

3-يُعتبر الحجاج عنصرًا حيويًا داخل الخطاب الفقهي، يتم استخدامه من خلال النصوص والمقاييس والمبادئ العقلية، والمقارنة والترجيح، مما يعزز قيمة الحكم ويؤكد مشروعيته.

4-أثبتت الأساليب التداولية فعاليتها في دراسة الخطاب الفقهي، حيث تسلط الضوء على أبعاده التواصلية والمقصودة، وتكشف عن البنية الخطابية العميقة التي لا تظهر فقط من خلال التحليل البنيوي.

التوصيات

1-يعتبر استخدام المنهج التداولي أسلوبًا تحليليًا يساعد في فهم الخطاب الفقهي، لأنه يكشف عن جوانب لغوية وسياقية توضح أهداف النصوص وطرائق تواصلها.

2-تعزيز التعاون بين دراسات اللغة والدراسات الشرعية عبر مشاريع بحثية مشتركة، ودروس تعليمية تجمع بين علم الحجاج، والتداولية، وأصول الفقه.

3-تدريب طلاب الشريعة واللغة على كيفية بناء وتحليل الحجج، بدلاً من مجرد حفظ القواعد، مع التركيز على المهارات النقدية والاستدلالية.

4-تحديث مناهج كليات الشريعة واللغة لتتضمن تحليل النصوص من وجهة نظر تداولية وحجاجية، وتضمين مهارات التواصل الفقهي في البرامج الدراسية.

بيانات الإفصاح:

- **المو افقة الأخلاقية والمو افقة على المشاركة: تم الاتفاق على المشاركة في البحث وفقاً للإرشادات الخاصة بالمجلة.**
- **تو افر البيانات والمواد: كافة البيانات والمواد متاحة عند الطلب.**
- **مساهمة المؤلفين: يتحمل المؤلفين مسؤولية كافة محتويات البحث والتحليل والمنهجية والمراجعة الكاملة.**
- **تضارب المصالح: لا يوجد تضارب في المصالح لأي طرف من خلال تصميم البحث وتقديمه وتقييمه.**
- **التمويل: لا يوجد أي تمويل مخصص لهذا البحث.**
- **شكر وتقدير: الشكر الجزيل لأكاديمية التطوير العلمي ومجلة المؤتمرات العلمية (JSC) على الدعم والإرشادات (https://sdasmart.org/jsconf/)**

المصادروالمراجع

القرآن الكريم

-أبو ذكري، عبد الرحمن. "نسق الحِجاج القرآني." *عربي21*، 30 مايو 2025.

[https://arabi21.com/story/1684831](https://arabi21.com/story/168483/نسق-الحجاج-القرآني).

-آل زعتري، عبد الرحمن بن عمر. *المنحى الحجاجي للخطاب القرآني وأثره في منهج الاستدلال الأصولي*. إشراف د. الحسن بنعبو، جامعة ابن زهر – أكادير، 2024.

-إسماعيل، أحمد عوض. "المرجعيات المعرفية للمقاربة التداولية في الدراسات اللغوية الحديثة." *مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج*، عدد 31، 2023.

-الإقناع وأثره في الإسلام. *إسلام ويب*، 20 حزيران 2012.

-الأمثال في القرآن. *ويكيبيديا، الموسوعة الحرة*، 11 نيسان 2024.

-بوزناشة، نور الدين. *الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي: دراسة تقابلية مقارنة*. دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، 2016.

-بوعرعارة، محمد. "التداولية والحجاج: جدلية التصوّر وبناء المفهوم." *فصل الخطاب*، العدد 4، 2013، تيارت، الجزائر.

-بوقره، نعمان. "ملامح التفكير التداولي عند الأصولية." *مجلة الفكر الإسلامي المعاصر .

-حسن، جمال محمد أحمد. "فاعلية برنامج مقترح قائم على مهارات التنور الإعلامي..." *المجلة التربوية لكلية التربية بسوهاج*، عدد 102، 2024.

-الحجاج عند الأرسطيين الجدد. . ط2، دار الحجاج والخطابة الجديدة، 2002.

-حسين، علي. *اللسانيات التداولية*. قسم اللغة العربية، دراسات عليا، 2019.

-حيزيّة، كروش. "الخطاب التعليمي التداولي بين المعلم والمتعلم." *المجلة التعليمية*، 1 حزيران 2017.

-الربيعي، هناء عبد الرضا رحيم. "البلاغة الجديدة: مشروع التجديد المعاصر." *مجلة الخطاب*، مج. 14، ع. 2، حزيران 2019.

-زاهديان، قطب الدين. ترجيحات الإمام النووي في كتاب روضة الطالبين: باب المعاملات نموذجًا. أطروحة ماجستير، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، 2015.

-سالم، أسعد بن. "ما بين الحجاج والبرهان والاستدلال." *ASJP – CERIST*، المجلد 07، العدد 02.

-الشنري، عبد العزيز بن حمد بن مانع. *البنية الحجاجية في كتب اللغة العربية بالمرحلة الثانوية*. جامعة حائل، السعودية.

-صالح، أحمد. *تقنيات الإقناع في الخطاب الديني*. سكربد، تم تحميله بواسطة user715621125.
-صديق، منتصر نبيه محمد. "سلطة النص وآليات الحجاج: قراءة في نونية أبي إسحق الإلبيري." *مجلة الدراسات العربية*، مج. 37، ع. 10، 2018.
-غازي، إدريس. "التدليل الشرعي وسؤال الحجاج-1." *الرابطة المحمدية للعلماء*، 20 يناير 2015.
-الغالمي، الحسين. "التداولية في المنهجية الأصولية: مستوى الفعل اللغوي أنموذجاً." *مؤمنون بلا حدود*، 21 شباط 2020.
-الغامدي، أحمد علي محمد. "الخطاب الفقهي لدى فقهاء القرن التاسع هجري: دراسة استقرائية وتحليلية." *Journal of Educational and Human Sciences*، العدد 31، 2024.
-العنزي، عبد الله بن عبد العزيز. "من أساليب العربية: أسلوب التقرير وأدواته." *شبكة الألوكة*.
-العثيمين، محمد بن صالح ، مختصر التحرير، موقع اسلام ويب.
-طالب، ناجي. "الأوامر الإرشاديّة." *الموسوعة الفقهية الشيعية، بحث الأصول*.
-طالب، ناجي. "المقاصد الأسلوبيَّة للاستفهام في لغة الحديث الشريف." *إسلام ويب*.
-لسان العرب 1: 745، تاج العروس 3: 316، مادّة «حجج».
-مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، 1991.
-النووي، يحيى بن شرف. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج. تحقيق لجنة من العلماء، دار إحياء التراث العربي، 1996.
-وجيه، مرسي. "الإقناع وأثره في الاقتناع لدى المتلقي." *كنانة أونلاين*، 21 نيسان 2013.

الهوامش:

([1])إبن منظور 1:745، الزبيدي 3:316
([2])ينظر إلى "تعريف الحجاج"
([3])ينظر إلى "صديق 5602"
([4])ينظر إلى "بوزناشة"،"الربيعي"
([5])ينظر إلى "حسين 3-7"
([6])ينظر إلى "بوعرعارة 45"
([7])ينظر إلى "بوعرعارة 45"
([8])ينظر إلى "المعماري"
([9])ينظر إلى "الغامدي"
([10])ينظر إلى "الغامدي 205"
([11])ينظر إلى "الحجاج عند الارسطين الجدد"
([12])ينظر إلى "المصدر السابق"
([13])ينظر إلى "الشنري"
([14])ينظر إلى "الامثال في القرآن "
([15])ينظر إلى "أهمية القياس ودوره في استنباط الأحكام الشرعية"
([16])ينظر إلى "آل زعتري"
([17])ينظر إلى "غاوش"
([18])ينظر إلى "غاوش"،"المالكي"
([19])ينظر إلى "أبو ذكري"،"إدريس"

(20)ينظر إلى "العثيمين"
(21)ينظر إلى "العثيمين"
(22)ينظر إلى "طالب"
(23)ينظر إلى "العثيمين"
(24)ينظر إلى "حيدا"
(25)ينظر إلى "العنزي"
(26)ينظر إلى "بوقره"
(27)ينظر إلى "الاقناع وأثره "
(28)ينظر إلى "بورقه"
(29)ينظر إلى "وجيه"،"حسن366"
(30)ينظر إلى "الغانمي"
(31)ينظر إلى "الغانمي"،"صالح"،الخطاب الديني المعاصر "
(32)ينظر إلى "زاهديان"
(33)ينظر إلى "زاهديان"
(34)ينظر إلى "المعيقلي"
(35)ينظر إلى "كروش"،"صادقي"